صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢٢٠ الموافق في صفر ١٤٢١ هجري ٦/٢٠٠٠ ميلادي

| عنوان المقال : الطهو البشري –٨– | بقلم : د. سها عبد الحميد أحمد |
|---|---|

# عُذريَّة البَتُول...نور لظلمة العقول.

أدركنا مع حنَّة قوله تعالى...{ **وليس الذكر كالأنثى** }

ويضرب اللهُ لنا الأمثال لنرى مكانة المرأة في الإسلام ولله المثل الأعلى .

وما أصابت العالمَ الإسلامي البلوى

إلا عندما تعامل مع المرأة وتعاملت مع نفسها كمخلوق أدنى

ولو تضافرت كل جهود الإلحاد لتخترق في قداسة الإسلام هذا المعنى . فستبقى على مداد الزمان والمكان أمام عظمة الطرح الإلهي مشلولة القوى

وكل من اعتنق هذا الدين ثم أساء للمرأة أماً أو بنتاً أو زوجة

وقد وهبه الله نعمة البصر والبصيرة فهو في الحقيقة أعمى

ولن نُسعف تدهور أممنا رجالاً ونساءاً

إلا إذا خلَّصنا مناهج تربيتنا مما لحقها من السقم والأذى...

*  *  *

إنه الإسلام ... كافل الإنسانية

ومقدِّس الأمومة

وراحم الأنوثة

وها هي مولودة حَنَّة تتابع المهمَّة

وقد كفلها زكريا لتترعرع في مكان النَّذر بالمحراب

وأقفل عليها الأبواب

ورغم الحواجز أتاها رزقُها المقَّدر، فالله يهب دون الأخذ بالأسباب

دهش زكريا... وطرح عليها سؤاله باستغراب

يا مريم... أنى لك هذا ؟؟

أجابت... هو من عند الرزّاق الوهَّاب

ومرة أخرى تأكد لزكريا طلاقة قدرة الله مسبِّب الأسباب

فسجد في محرابها مناجياً ربه بدعاء لا يدري كنهه إلا أولوا الألباب

* * *

همس الأمل في رغبة زكريا بولد له ليحمل إرث البنوة

لكنه فقد من عمره المحدود زمن الفتوة

وأتاه الكبر سيلاً عارماً جرف ما في جسده من قوة

وإشاعُ زوجته العقيم استسلمت لما يحمل جسدها من العلة

لكنَّ رزقَ مريم أكد لزكريا أن الله أعلم بكيفية الخلق من العدم

ودعاؤه لتحقيق معجزة حمل إشاع له الذرية

لا يكون امتداداً لشخصه، فمهما طالت حياة الإنسان فهي للغاية محدودة

ولا ليسنده عند ضعفه، فضعف الشيخوخة لا ترممه النُّبوَّة

ولا لميراث الأنساب والأموال والبنيان، بل لتبليغ منهج البنوة

واليوم ما عدنا نفهم البُنُوَّة إلا ملكية عزٍّ وسندٍ وقوَّة.

لذا تعثرت خطانا وعلينا أن نعيد من جديد الفهم السامي للأمومة والأبوة

* * *

وهنا نستشف روعة البصمات الإيمانية للمرأة في قصص الأنبياء

فإيمان مريم وتكريمُها كانا من الأصل في توجُّه زكريا لخالقه بالدعاء

والدعاء المخلص النية يصل كالبرق حاملاً الاستجابة من رب السماء

فلقد كان زكريا ما يزال في أحضان رهبة النداء

استجاب الله له بالولد وزاده كرامة واختار له أجمل الأسماء

وهنا ارتعش زكريا هيبة وإجلالاً وسأل: كيف يا الله؟

مع أنه هو صاحب الدعاء

فأجابه الخالق المصور لا تسألني عن الكيفية { **كذلك الله يفعل ما يشاء** }

ورزقت إشاع العجوز العقيم بجنين وعايشت مريم معنى هذا الإجتباء

فمن رحمة الله بها أن هيأها للحدث الفريد المنتظر اختيارُها للاصطفاء

فكما خلق الله آدم من غير رحل وامرأة

وحواء من غير امرأة فلا بد من خلق نفس من غير أب ليرينا مثلاً لطلاقة قدرته بالخلق على أي وجهٍ يشاء

وكان رحِم البتول هي الوعاء.

* * *

أتى رسول الله إليها... دبَّت حياةُ الغلام في رحمها دون أن ترى ذلك العيون

يا له من اختيار... عانت في مراحله ما تمنت من شدته المنون ولولا أنها على يقين لا يتزعزع أن الله لا يحده قانون

لتسلل إلى عقلها البشري شيء من مس الجنون

لكن تربيتها الإيمانية كانت تردد على مسامعها أية الاستسلام والسكينة

{ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** }

معجزة....روح تدبُّ في جسد

كل أمٍّ أحست بروعة هذا الإعجاز

وتذوقت نكهة الوهن على الوهن

روح تردد على مسامعنا ما دامت فينا : { **وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟** }

* * *

أخفت مريم عن قومها قصتها مع خلق الله في رحمها الآية

وعاشت اختبار الله لها بحبٍّ ورضى وتوكُّل في كل أحداث الرواية

والحمل في رحم المرأة يعلم الإنسان وهو جنين أن لا يتملَّكه في الدنيا طول الأمل

فولادته بداية حياة ما أسرع ما تمضي إلى نهاية

وأجاء المخاض مريم إلى جذع النخلة يلسعُها بسياط الآلام المشرفة

وحيدةٌ ليس معها إنسان... ولا تحتويها حدود مكان وانعدمت أسباب السكينة

لكنها لم تجزع فلقد استشعرت أن الله معها وأنها عنده وديعة

أليس من كمال الإيمان استقبال هذه الآلام بحب

فهي المطهرة من الذنوب

آلام تحمل إلينا حامل أمانة الله في الأرض يبلغها للقلوب

ولو أدركنا هذا المعنى لأعدنا لأمة الإسلام كل حق مسلوب

* * *

إنها الولادة المدخل الأول إلى مسؤولية مهمة التربية

ونأتي نحن النساء لنتحدث عن آلامها وكأنها مجزرة

وما أبدعنا في التهويل والمبالغة في وصفها.

وكم نفلح في أن يدبّ الرعب في قلوب فتياتها من معاناتها

فتجد كل واحدة تذهب لاستقبال وليدها وكأنها ذاهبة إلى حد المقصلة

والمضحك أننا نخيفهن ونحن نعاود الإنجاب الكرة تلو الكرة

والأولى لنا أن نبين تشريف الله لهن وقد اختصهن بالولادة

فهي لقاء تعايشُ فيه المرأة المعجزة

* * *

ضمت وليدها ومضت به تحمل ما يظن قومها أنه على الجريمة برهان

لكنها سكينتها لا تخشى الناس حتى ولو علت ظنونهم كما يعلو الموج الشطئان

فلقد تولى رعايتها الله القادر المنان

وأول ما رأوها... بادروا إليها يسألونها

وعلى ثقتهم بأبيها... بالغوا بتكذيبها وتجريمها

ومريم نذرت الصمت عن الكلام بالصوم

هكذا أوحى الله لها فهو أعلم بماهية القوم

تُصَادفهم على مداد الأيام

وليس أبلغ في الرد على كل آفات اللسان من الصوم عن الكلام

أشارت إليه أن كلموه

فاستنكروا الأمر واستعجبوه

فتكلمت الآية آية

وأروع ما في معجزة الكلام معجزة ما به من الكلام

نفى المولود في المهد ما سوف يتحدث عنه من ضلٍّ بعد أزمان

سيقال عنه إنه إله

نفى عن نفسه الألوهية وقال: إني عبد الله

ذلك عيسى ابن مريم

الإنسان ابن المرأة

والمرأة نصف الأمة وتنجب نصفها الآخر فهي الأمم

إذا تفقهت بالدين وعملت له بأغلى الهمم

وأول مهام تربيتها أن نعيد في نفوس أولادنا إحياء هذه القيم

فلقد آن الأوان لأن نسترد عافيتنا من بين أنياب السقم

إنها مسؤوليتنا وسنسأل عنها يوم نقف بين يدي من أقسم بالقلم

عندها لا عذر لغفلتنا ولجهلنا ولن ينفعنا الندم .

**(١) حنَّة : أم السيدة مريم العذراء وجدة عيسى عليهما السلام .**

**(٢) إشاع : زوجة النبي زكريا عليه السلام ووالدة النبي يحيى عليه السلام .**